اللساني linguist

مجلّة فصليّة دوليّة محكّمة متخصّصة في اللسانيّات تصدر عن كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة محمّد الخامس بالرباط

مجلة اللساني – المجلد 2 – العدد 1

Dépôt Légal: 2019PE0001
ISSN: 2665-7406 (Online)
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

البريد الإلكتروني للمجلة

linguist@linguist.ma
linguistflshr@gmail.com

الموقع الإلكتروني للمجلة

https://linguist.ma

linguist اللساني
مجلة فصلية دولية محكمة متخصصة في اللسانيات تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط

مجلّة فصليّة دوليّة محكّمة متخصّصة في اللسانيّات
تصدر عن كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
جامعة محمّد الخامس بالرباط

المدير الإداري للمجلة
أ.د. ليلى منير
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

المدير المسؤول ورئيس التحرير
أ.د. حافظ إسماعيلي علوي

الهيئة العلمية الاستشارية

أ. د. أحمد المتوكل (المغرب)
أ. د. حسن حمزة (سوريا/ قطر)
أ. د. حمزة بن قبلان المزيني (السعودية)
أ. د. سعد مصلوح (الكويت/ مصر)
أ. د. صالح بلعيد (الجزائر)
أ. د. عبد الرحمن بودرع (المغرب)
أ. د. عبد الرزاق بنور (تونس)
أ. د. عز الدين المجدوب (تونس)
أ. د. مبارك حنون (المغرب)
أ. د. محمد البكري (المغرب)
أ. د. محمد الرحالي (المغرب)
أ. د. محمد العبد (مصر)
أ. د. محمد غاليم (المغرب)
أ. د. مرتضى جواد باقر (العراق)
أ. د. مصطفى غلفان (المغرب)
أ. د. مولاي أحمد العلوي (المغرب)
أ. د. ميشال زكريا (لبنان)
أ. د. هشام عبد الله الخليفة (العراق)

هيئة التحرير

احمياني عثمان
أمروص نور الدين
بنسوكاس عبد الكريم
بودحيم زكريا
الدرويش محمد
العلمي عبد الكريم
قضيوي وفاء
منير ليلى
أزواغ سفيان
بندحان محمد
بنعياد نعمة
حسبان رضوان
الطاهري عز الدين
العلوي كمال رشيدة
المنديلي سمية
الناصيري حبيبة

البريد الإلكتروني للمجلة
linguist@linguist.ma
linguistflshr@gmail.com
للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة
https://linguist.ma

Dépôt Légal: 2019PE0001
ISSN: 2665-7406 (Online)
E-ISSN: 2737-8586 (Print)

بروتوكول النشر في المجلة

اللساني:

- مجلة فصلية دوليّة علميّة محكّمة متخصّصة في اللّسانيات.
- لغات المجلة هي: العربية والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والإسبانية، والبرتغالية.
- تقبل المجلة البحوث سواء أكانت تأليفا أم ترجمة، أو مراجعة، شريطة أن يكون البحث المترجم أو الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية.

رسالة المجلة:

- الإسهام في نشر ثقافة لسانية عالِمة.
- تطوير البحث اللساني في الثقافة العربية.
- مواكبة مستجدات البحث اللساني وتحولاته المعرفية.
- إطلاع الباحثين والمهتمين على أهم ما يكتب وينشر في مجال اللسانيات.
- الاهتمام بانفتاح الحقل اللساني وحواره مع التخصصات الأخرى بالتركيز على الدراسات البينية.

خصوصية المجلة:

- تنشر المجلة البحوث والدراسات الجادة في مجال اللسانيات.
- تسعى المجلة إلى مواكبة مستجدات البحث اللساني من خلال ترجمة البحوث والدراسات التي تنشر في أهم المجلات اللسانية العالمية.
- إثارة نقاش حول أهم القضايا اللسانية المعاصرة.

شروط نشر البحوث والدراسات:

- تنشر المجلة البحوث الأصيلة التي لم يسبق نشرها أو إرسالها للنشر إلى أي جهة أخرى.
- تكون المواد المرسلة للنشر ذات علاقة باللسانيات، سواء أكانت دراسات وبحوثا نظرية وتطبيقية، أم بحوثا مترجمة.
- تلتزم البحوث بالأصول العلميّة المتعارف عليها.
- تقدَّم البحوث وفق شروط النّشر في المجلّة كما هو منصوص عليها على موقع المجلة.
- لا يقل عدد كلمات البحث عن 5000 كلمة ولا يزيد عن 9000 كلمة، بما في ذلك الملاحق.

شروط نشر مراجعة الكتب:

- تنشر المجلة مراجعات للإصدارات الحديثة، سواء أترجمت إلى اللغة العربية أم لم تترجم بعد.
- يجب أن يراعى في عرض الكتب الشروط الأساسيّة الآتية:

بروتوكول النشر في المجلة

- أن يكون الكتاب المراجع ضمن اهتمامات المجلة.
- أن يبنى اختيار الكتاب على أسس موضوعيّة: أهميّة الكتاب، قيمته العلميّة، إغناؤه لحقل المعرفة، والفائدة من عرضه ومراجعته.
- أن يكون الكتاب قد صدر خلال السنوات الخمس الأخيرة.
- كما يجب أن تراعي المراجعة الشروط الآتية:
- الإشارة إلى عنوان الكتاب، ومؤلفه، وفصوله، وعدد صفحاته، وجهة النشر، وتاريخ النشر.
- التّعريف بمؤلّف الكتاب بإيجاز، وبالمترجم (إن كان الكتاب قد ترجم إلى اللغة العربية).
- الوقوف على مقدّمات الكتاب الأساسية: الأهداف، المضامين العامة، المصادر والمراجع، المنهج، المحتويات...
- عرض مضامين الكتاب عرضا وافيا وتحليلها تحليلًا ضافيا، مع الوقوف على أهم الأفكار والمحاور الأساسيّة، واستخدام الأدوات النقديّة والمنهج المقارن بينه وبين المراجع المعروفة في الحقل المدروس.
- يتراوح عدد كلمات المراجعة بين 2000 و3000 كلمة، وتقبل المراجعات التي يصل عدد كلماتها 4000 كلمة، إذا ركزت على التّحليل والمقارنة.

التوثيق في المجلة:

تعتمد المجلة نظام التوثيق APA (جمعية علم النفس الأمريكية) الإصدار السابع (7)، ويمكن الاطلاع على تفاصيل التوثيق على موقع المجلة، أو موقع الجمعية.

مرفقات ضروريّة للنّشر:

- يُرفق بالبحوث المقدمة للنشر في المجلة:
- البحث الأصل إذا كان البحث مترجما، مع توثيق النص الأصل توثيقا كاملا.
- ملخص البحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، لا يقل عن 250 كلمة ولا يزيد عن 300 كلمة.
- جرد للكلمات المفاتيح (لا يقل عن خمس كلمات ولا يزيد عن سبع كلمات)
- سيرة موجزة للباحث (لا تزيد عن 200 كلمة) باللغة العربية واللغة الإنجليزية.
- السيرة الذاتية المفصّلة للباحث.

للاطلاع على تفاصيل أخرى للنشر انظر موقع المجلة.

إجراءات النّشر:

- ترسل جميع المواد على موقع المجلة (**إنشاء طلب نشر**).
- سيتوصل الباحث بإشعار بإرسال بحثه حال استكمال شروط الإرسال.
- تلتزم المجلة بإخطار صاحب البحث في أجل أقصاه عشرة أيام بقبول البحث أو رفضه شكلا، وبعرضه على المحكمين في حالة استيفائه لشروط النّشر في المجلة ومعاييره.

بروتوكول النشر في المجلة

- تُرسل المواد التي تستجيب لمعايير النشر للتحكيم على نحو سري.
- يخبر الباحث بنتائج التحكيم (قبولا أو رفضا) في أجل أقصاه شهر ابتداء من تاريخ إشعاره باستيفاء المادة المرسلة للشروط الشكلية وعرضها على المحكمين.
- إذا رفض البحث فإن المجلة غير ملزمة بإبداء الأسباب.
- إذا طالب المحكمون بإجراء تعديلاتٍ على أيّ بحث؛ يخبر الباحث بذلك، ويتعين عليه الالتزام بالآجال المحددة لإجراء التعديلات المطلوبة.
- تفرض المجلة أن يلتزم الباحث بالتحرير والتدقيق اللّغوي، وفق الشروط المعمول بها في الدّوريّات العالميّة.
- تحتفظ المجلة بحق إعادة نشر البحث بأي صيغة تراها ذات فائدة، وإخطار الباحث بذلك.
- لا يحق نشر أي مادة بعد تحكيمها وقبولها للنشر قبولا نهائيا وإخطار صاحبها بذلك.
- يمكن للباحث إعادة نشر بحثه بعد مرور سنة من تاريخ نشره، شريطة إخبار المجلة بذلك.
- لا تدفع المجلة تعويضا ماديّا عن الموادّ التي تنشرها، ولا تتقاضى أيَّ مقابل مادّي عن النشر.

لا تعبر البحوث المنشورة عن رأي المجلة
ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية
يتحمل الباحث وحده المسؤولية القانونية لبحثه

البريد الإلكتروني للمجلة

linguist@linguist.ma
linguistflshr@gmail.com

للمزيد من التفاصيل يرجى زيارة الموقع الإلكتروني للمجلة

https://linguist.ma

شارك في هذا العدد

أ. د. **حافظ إسماعيلي علوي**: أستاذ اللسانيات وتحليل الخطاب في قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة بـالإمارات العربية المتحدة، وقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، المملكة المغربية. حاصل على درجة الدكتوراه في اللسانيات من جامعة الحسن الثاني، بالدار البيضاء، المملكة المغربية، عام 2004 تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات، واللسانيات القانونية، وتحليل الخطاب...

أ. د. **خليفة الميساوي**: أستاذ اللسانيات العامة والتداولية وتحليل الخطاب بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، وبالمعهد العالي للغات بجامعة قرطاج بتونس. حاصل على درجة الدكتوراه في العلوم اللغوية من جامعة ليون 2 بفرنسا، وحاصل على درجة الدكتوراه في اللسانيات العامة من المعهد العالي للغات بتونس بجامعة قرطاج بتونس 2008. تدور اهتماماته البحثية حول التداولية وتحليل الخطاب والمصطلحية والترجمة.

أ. د. **علي الشبعان**: أكاديمي وباحث متخصص في اللغة العربية وآدابها، مع تركيز على تحليل الخطاب، ومناهج النقد الحديث، ونظريات الترجمة. حصل على درجة الدكتوراه في تحليل الخطاب ومناهج النقد الحديث من جامعة منوبة في تونس. عمل أستاذا مساعدا في جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل في المملكة العربية السعودية وشغل منصب أستاذ مشارك في جامعة القيروان بتونس، ويعمل حاليا أستاذا في كلية الآداب بجامعة الوصل في دبي، الإمارات العربية المتحدة.

أ. د. **عماد عبد اللطيف**: أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب في بقسم اللغة العربية، بجامعة قطر. درس بجامعتي القاهرة المصرية ولانكستر الإنجليزية. مؤسس «بلاغة الجمهور»، وهو حقل معرفي يدرس الاستجابات البليغة للجمهور، ورئيس تحرير مجلة «خطابات». نشر الدكتور عبد اللطيف عشرات المقالات وفصول الكتب في مجلات ودور نشر منها لوهارمتان، وروتليدج، وليدن، وبريل، وأكسفورد، وجون بنجامينز، وغيرها.

أ. د. **مبارك حنون**: باحث وأكاديمي مغربي متخصص في اللسانيات والصوتيات والترجمة. شغل مناصب أكاديمية وإدارية، منها أستاذ باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس (1982–1995)، وأستاذ بجامعة الأخوين بإفران (1995–2000)، ومدير المدرسة العليا للأساتذة بمكناس (2000–2003)، ومدير أكاديمية جهة

شارك في هذا العدد

سوس ماسة درعة (2003–2010)، وأستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس أكدال بالرباط (2010–2013)، وأستاذ بجامعة قطر (2013–2020)

أ. د. محمد الصحبي البعزاوي: أستاذ اللسانيات في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الوصل بـالإمارات العربية المتحدة. حاصل على درجة الدكتوراه في اللسانيات من جامعة منوبة، بالجمهورية التونسية، عام 2007 تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات النظرية والتطبيقية، قضايا المعجم، اكتساب اللغة، وتعليمية العربية.

أ. د. مختار زواوي: أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر. باحث ومترجم ومحكم في اللسانيات، والسيميائيات، وترجمة النص القرآني. حاصل على الدكتوراه في السيميائيات من جامعة سيدي بلعباس عام 2012، ويدرس بها مادتي اللسانيات العامة واللغة الفرنسية بقسم اللغة العربية وآدابها.

أ. د. وليد العناتي: أكاديمي وباحث متخصص في اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغة العربية. حصل على درجة البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية من الجامعة الأردنية، ثم نال درجة الدكتوراه في اللسانيات التطبيقية من الجامعة نفسها. شغل عدة مناصب أكاديمية، منها أستاذ في جامعة قطر وجامعة البتراء في الأردن، وأستاذ في مركز الدراسات العربية بالخارج (CASA) التابع لجامعة هارفارد في الأردن. تدور اهتماماته البحثية حول تعليم العربية للناطقين بغيرها، واللسانيات الحاسوبية العربية، وتحليل الخطاب، واللسانيات الجنائية.

د. عبد الفتاح الفرجاوي: باحث في اللسانيات والنحو التوليدي بالجامعة التونسية، متحصل على الدكتورا في اللغة والآداب العربية، جامعة منوبة، تونس 2004. مهتم بقضايا النحو واللسانيات والمعجم والدلالة.

اللسانيinguist
مجلة فصلية دولية محكمة متخصصة في اللسانيات تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس بالرباط

شارك في تحكيم مواد هذا العدد

- احمياني عثمان
- البعزاوي محمد الصحبي
- بودرع عبد الرحمن
- الحلوي عبد الرحيم
- حنون مبارك
- الشبعان علي
- الطايفي البرنوصي حسيبة
- العناتي وليد
- غلفان مصطفى
- الميساوي خليفة

فهرس المحتويات

افتتاحية العدد
أ.د. ليلى منير 10
لغة بأكثر من رأس ومآل الازدواجية اللغوية بالمغرب
أ. د. مبارك حنون 11
البحث عن جوهر اللغة
أ. د. مختار زواوي 56
العربية والتعدد اللهجي
د. عبد الفتاح الفرجاوي 82
صيغ الثلاثي المجرد في العربية
أ. د. محمّد الصّحبي البعزاوي 98
تحليل الخطاب
أ. د. خليفة بن الهادي الميساوي 121
في الْحِجَاجِ التَّأْوِيليّ أو كيف تُبعث الخِطابة من رمادها؟...
أ. د. علي الشبعان..... 145
بلاغة الجمهور والمعارف النقدية
أ. د. عماد عبد اللطيف 173
الحقوق القانونية للأقليات اللغوية في الاتحاد الأوروبي
أ. د. حافظ إ. علوي 192
اكتساب اللغة الثانية
أ. د. وليد العناتي..... 212

في الْحجَاج التَّأويليّ
أو كيف تُبعث الخَطَابة من رمادها؟...

مدخلٌ إلى طرائق تأويل يتوبيّات الاِعتقاد في الثّقافة الإسلاميّة القديمة

أ. د. علي الشبعان

جامعة الوصل، الإمارات العربية المتحدة

alichabaanedoudou72@gmail.com

https://orcid.org/0009-0003-6883-5733

الملخّص

نرمي في هذا البحث، إلى بيان تحوّلات النّظريّة الحِجاجيّة، من أرسطو إلى آخر ما آل إليه أمر هذا العِلم: متصوّراتٍ، ومفاهيمَ، ومصطلحاتٍ انطبعت بها، المقارباتُ، وانفعلت بواسطتها الرّؤى، فنجمت من ذلك، مدارسُ عديدةٌ، ومناويلُ فريدةٌ، أظهرت اختلافا في المقاربات، وتباينا في المباشرات، وهذا دليلٌ على ثراء هذا الحقل البحثيّ، يُرحّل إلى المجال الأكاديميّ العربيّ، يوسّع مداراتِه، ويُغني مساراتِه، فيكون نفعٌ، ويكون عطاءٌ. كما، حاولنا في هذا البحث، انطلاقا من رؤية ابستيمولوجيّة تجاوزيّة، لا تطمئنّ إلى ما راكمه العلماءُ في حقول المعرفة، من نظريّات وفلسفات، بل تذهب بعيدا في عوالم الأحداث المستمرّ، فنحتنا معالم رؤية تفسيريّة جديدة، توحّد المنوالين: الحجاجيّ والتّأويليّ داخل مدار واحد، تصير بمقتضاه الحجّةُ، كَيانا مركّبا انتجه الفعل التّأويليّ الّذي سلّطه المحاجُّ على الأنساق البرهانيّة الّتي ينوي من خلال استجلابها من مخازن الحُجج، إقناعَ محجوجه، يبدّل عقائده، ويغيّر رؤاه، فينخرط في المسارات الجديدة التي شرعنها التّداولُ، ومكّنتها المقانعةُ.

وبذلك غدا الحِجاجُ، داخل منظوريّتنا المُحدَثة، فعلا تأويليّا خالصًا، بواسطة شرعنة أفعاله ومَقْوَلَة أعماله، يفعل في متقبّليه، ويغيّر عقائد مستهدَفيه، يداعب مشاعرهم، ويستدرج، ضمائرهم، فيكون، اقتناعٌ ويكون عملٌ.

الكلمات المفاتيح: الحِجاج التّاويليّ، المدارس الحجاجيّة، أفعال الخطاب، النصّ/ العمل، الخطاب/ الفعل، المحاجّ/ المؤوّل، الحدث التّواصليّ، الحدث الحِجاجيّ، العالم الواقعيّ، العالم المتخيَّل.

SUR L'ARGUMENTATION INTERPRÉTATIVE OU COMMENT LA RHÉTORIQUE RENAIT-ELLE DE SES CENDRES?

Prof. Ali Chabaane
Université de Kairouan /Al-wasl University
alichabaanedoudou72@gmail.com
https://orcid.org/0009-0003-6883-5733

RÉSUMÉ

Nous voulons montrer dans cet article comment les théories argumentatives, d'Aristote jusqu'à nos jours, orientaient, avec son grand dynamisme, les regards vers un monde herméneutique ouvert, dont les approches théoriques sont considérées comme une finitude due à un alliage que nous avons inventé son propre concept ; l'argumentation interprétative, en tant qu'elle illustre un nouveau domaine théorique qui unit argumentation et interprétation, pour mieux comprendre les fonctionnements de l›acte argumentatif dans les corpus analysés par les chercheurs et les textes interprétés par les théoriciens. Suite à cette invention théorique, l›acte argumentatif, sera un acte complexe qui demandera un acte interprétatif lui aussi complexe que notre article aimerait démontrer les enjeux et les limites, pour qu›on puisse ouvrir des nouvelles pistes de recherche de fond ayant pour objectif de donner un souffle nouveau susceptible d'élargir les études en langue arabe dans les différents domaines théoriques attachés aux études du discours en tant que cadre théorique général qui réunit l'analyse argumentative et ses différents actes relatifs aux locuteurs qui subissent les discours inventés par les acteurs sociaux qui gouvernent le monde réel, et prévoient le monde fictif.

Mots-Clés: argumentation interprétative, les écoles de l›argumentation, actes de discours, texte/action, discours/action, argumentateur/herméneute, acte communicationnel, acte argumentatif, monde réel, monde fictif.

مقدّمة:

إنّ المتامّل في المتن الحِجاجيّ النّظريّ، من «أرسطو»، إلى راهن أيّامنا وحاضر زماننا، سيجد أنّه متنٌ ثريٌّ، وتراثٌ غنيٌّ، كثرت فيه الرّؤى وتعدّدت، داخل حقله المجتبى[1]، فلا تجانسَ، ولا تماثلَ.

(1) عن حقيقة ما تتّصف، به، (النّظريّاتُ الحِجاجيّةُ) من تبدّل وتحوّل، مذ نشأت، إلى راهن أيّامنا، راجع –تمثيلا، لا حصرا– العملَ الجماعيّ: (Meyer, 1999)
انّ المتامّل، في المؤلّفات النّظريّة، الدّائرة، على (الحِجاج)، لواقفٌ على كثرة المقاربات، وتنوّع المباشرات، وقد عدّدت، روث اموسّي: (Amossy, 2000)، اهمّ تلك المقاربات الّتي اوردناها مفصّلةً في كتابنا: (الحِجاج، وقضاياه، في مؤلّف: (روث اموسّي): (الحِجاج، في الخطاب). انّ، تعدّد المقاربات، انّما، يترجم، علاقة (الحِجاج)، بالفاعليّات الانسانيّة المركّبة، راجع، هذا الرّاي، ضمن، مؤلّف: برتون Breton، المذكور، ص ص6–7 (Un objet complexe). ولمزيد التّبصّر، بمختلف المقاربات الحِجاجيّة، واعلامها، وتيّاراتها، راجع،– تمثيلا لا حصرا–: (Eemeren، 1996، ص. 17-7)
علما انّ هذا الكتاب/ المعلم، قد تولّى تعريبه، عبد المجيد جحفة، (2016م).
إنّ الوعي، باصول هذه المقاربات، باعتبارها، عقائدَ علميّةً، يجعلنا، نتوسّل، بها، جميعا، لا حرج، ولا ضيق؛ لانّنا، نعي، الوعيَ كلَّه، انّ تلك المقارباتِ، انّما، تهدي، المسار التّاويليّ، وتنير، المسلك التّفسيريّ، ولا يمكن، ان، تكون، غايةً، في ذاتها؛ لانّها خطاباتٌ مظروفةٌ، باسيقة نشاتها، محاطةٌ، بملابسات ميلادها، مرتهنةٌ، بحاجات اصحابها، تقول اتواقهم، وتترجم، مضايقهم، وتحمل بشائر امالهم، وطلائع طموحاتهم.
ومن ثمّة، وجب، علينا، ان نوظّف، تلك المناويلَ، وان نشغّل تلك المقاربات، من جهة كونها عقائدَ يُعتقد، فيها لا حقائقَ يُختشى منها. وهو ما دعانا، في مقامات عديدة، الى محاورة احكامها، والانتقاض على تعاليمها حتّى لا تكبّل حركتنا، ولا تقيّد، مسعانا، في استخراج الخواصّ الحِجاجيّة، من المتون: (الاسرائيّة– المعراجيّة)، وما يثوي، وراءها، بما هي، خطاباتٌ، من خُطط واستراتيجيّاتٍ، يرتجي، المحاجُّ/ المؤوِّلُ، اقناعَ النّاسِ بها، كي تغدو عقائدَ وتصير احكاما. ولمزيد التّعمّق، في تاريخ النّظريّة الحِجاجيّة من النّشاة، الى راهن ايّامنا، راجع المؤلّفين التّاليين:
· أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة، من (أرسطو)، الى اليوم، (1999).
– راجع: (الشبعان، 2010).
– عن الخيال ووظائفه، راجع: تمثيلا، لا حصرا–، هنري كوربان، الخيال الخلاق، في تصوّف (ابن عربيّ)، (ترجمة: الزاهي، 2008).
(Corbin, 1958) وكريستيان جومبي: (1983)
عن قواعد المنهج الإبستيمولوجيّ وخصائصه المعرفيّة، راجع: تمثيلا، لا حصرا، اشكاليّات المنهاج في الفكر العربيّ، والعلوم الانسانيّة: (جماعيّ، 2001).

كتاب: «مريانا توتسكو»
الحِجاج: مقدَّمةٌ لدراسة الخطاب[1]:
(عرضٌ وتاويلٌ ومجاوزةٌ)

لقد خصّصت، "ماريانا توتسكو" ، فاتحة الكتاب[2]، لما سمّته، بـ"نبذة تاريخيّة"، عالجت فيها الحِجاج داخل المجال اليونانيّ، وفي محيط المجال الرّومانيّ، ثم خصّصت للـحِجاج في القرن العشرين، قسمًا من حديثها مطوَّلا، عرضت فيه أهمّ اللّحظات الفارقة، والأزمنة الحاسمة، في تكوّن هذه النّظريّة.

ونظرا إلى دقّة ما ورد في هذه البسطة التّاريخيّة، من معلومات وقضايا، فإنّنا نوردها مختزلةً، لتذكير القارئ بأهمّ الأطوار الّتي مرّت بها النّظريّة الحِجاجيّة، من عهد اليونان، إلى عصر البلاغة الجديدة، حيث استعادت المؤسّسةُ الخِطابيّة أنفاسَها، وعادت إليها روحُها الّتي فارقتها زمانا طويلا، حوّلتها من مؤسّسة فعل، تشارك في صنع القرار والتّأثير في عقائد الجمهور، إلى صناعة وضيعة، تزيّن الحقيقةَ بالمحسّنات، وتضلّل الجماهيرَ بالأخيلة.

التّقليد اليونانيّ:

لقد عُرفت بلاد يونان منذ أقدم عصورها بازدهار فنون القول: فنّ الخِطابة، وفنّ الشّعر، وفنّ الجدل، وفنّ السّياسة، وفنّ المنطق...، وقد كانت هذه الفنون القوليّة، تعتمد على براعة الأدباء، وفصاحة البلغاء، واقناع المحاججين، ومنطق الرّياضيّين، نظرا إلى ما كانت تضمّه ساحاتُ أثينا وميادينُها من جدل ومناصحة، دارت مواضيعها، على القضايا الفلسفيّة، والمشاغل السّياسيّة، والنّوازل الأخلاقيّة.

وهو ما جعل الحِجاج Argumentation، وما يتّصل به من أجوار مفهوميّة: كـالاستدلال والجدل والتّبكيت، شأنا من شؤون المعرفة في بلاد يونان، يولّد أنساقها، ويغذّي ألق السّؤال فيها.

ولكنّ اللّحظة الحاسمة الّتي تبلور فيها مفهومٌ للـحجاج نسقيٌّ، إنّما هي لحظة أرسطو، أنجب نجباء تلامذة أفلاطون، وأنبههم، استطاع أن يخلّص الجدل من شوائبه الّتي عُلّقت به من جرّاء مخادعات السّفسوطائيّين، يزيّنون الحقيقةَ، ويضلّلون

(1) (Tutescu,1998).

(2) وللوقوف، على خوّاص هذه (المناويل الحِجاجيّة)، راجع، – تمثيلا لا حصرا–:
.(Tutescu, 1998, p.p.15-68)

النّاسَ بـفنٍّ من القول كاذب، تعوزه البراهينُ، وتنتفي منه الحُجَجُ.

وقد استطاع «أرسطو» أن يزاوج بين الفلسفة والخِطابة، فأنجب هذا الزّواج نهجا تعليميّا ونمطا فكريّا، دارت أسئلتُه على الوجود، باعتباره مُعضلة انطولوجيّة، كان "الأرغانون" وما تضمّنه من فنون قول، إمكانَ إجابة عن تلك المعضلة الّتي أشقت تشعّباتُ نُكتِها "أرسطو"، فنذر لها عمره، يلاحق طيفَها، ويطارد سرابَها.

ورُغم أفضال أفلاطون وسقراط، والسّفسوطائيّين على إطلاق بادرة الفعل الحِجاجيّ، إنْ ممارسةً، وإنْ تنظيرًا في ساحات أثينا وفضاءاتها الّتي كانت حلبات مبارزة بين المفوَّهين والخطباء والفلاسفة، يستخدمون من اللّغة، أبلغَها ومن العبارات، أنفذَها لإقناع الجماهير ولفت انتباه الحاضرين، يقتنعون برأي أو يتخلّون عن معتقد، فإنّ أغلب مَنْ أرّخ، للـنّظريّة الحِجاجيّة: نشأةً وتطوّرا، إنّما أنمى الفضلَ كلَّه إلى صاحب: «الأرغانون»، وضع للـحِجاج قواعدَه، وأسّس له فلسفته، فخطّ في ذلك كتبا: (الخطابة، المواضع، التّبكيتات السّفسوطائيّة، المنطق...) ، فصار بذلك، أبا لهذا العِلم شرعيّا، ثبّت نسبه وعيّن مجالات حركته.

التّقليد الرّوماني:

لم يخرج هذا التّقليد، -رُغم اجتهادات فلاسفته، وإضافات علمائه- عن أهمّ المسارات الّتي رسمها (التّقليد اليونانيّ)، وخاصّةً مع (اللّحظة الأرسطيّة). وقد كان فضلُ إحياء (الحِجاج) في البيئة الرّومانيّة عائدا إلى (شيشرون) الّذي عرّف الحِجاج، في *كتاب المواضع*، من مدخل الحُجّة، معتبرا إيّاه: «آلةً من آلات العقل، تمنحنا اعتقادا في شيء يقينه مدخولٌ، وصوابُه منحولٌ/ الحُجّة: آلة عقليّة تزيّن لنا الاعتقادَ في شيء غير يقينيّ/ ظنيّ»، (توتسكو، 1998، ص.19).

لقد سار "شيشرون: على خطى معلّمه "أرسطو"؛ إذ ربط الحِجاج بـالاحتمال والحمل على الإقناع، كما ربطه، قبله أسلافُه في التّقليد اليونانيّ، وهذا دليلٌ على مدى انفعال التّقليد الرّومانيّ في حقل: البلاغة والحِجاج بتعاليم سنن القول وأشراطه، كما أرسى قواعدَها جهابذةُ يونانَ، اتّصل بهم الفضلُ، وأنميت إليهم المزيّةُ.

لحظة الافول (السّكولستيكيّة):

وأهمّ ما ماز هذه اللّحظةَ إغراقُها في العناية بـمحسّنات القول، كما تفكّكت فيها اللّحمة الخَطابيّةُ، حيث غادرتها علومُها وفارقتها فنونُها، فصارت أوزاعا مشتّتة، لا ناظم لها وغدت البلاغةُ، مقصورة على العبارة، لا تتعدّاها، كما تحوّل علماءُ الخطابةِ

إلى صنّاع أصنافيّات تطول فيها قوائمُ ثبتِ الأساليبِ، ميّزوا فيها بين الأحسن والأوسط والأوضع، فأفَل نجم الخِطابة، وانحسر مجالُها، فضاقت على نفسها، حتّى انكتمت أنفاسُها، وتقلّصت وظائفُها.

عودة الرّوح: القرن العشرون/ لحظة انبعاث الخِطابة، من رمادها/ أسطورة: (العنقاء العائدة)

لقد قسّمت توتسكو، هذا المنعرج الحاسم في تاريخ المؤسّسة الخَطابيّة لحظاتٍ/ أزمنةً خمسًا أساسيّةً، تمثّل كلُّ لحظةٍ، مِنوالا نظريّا خاصّا، ومشربا فكريّا محدَّدا، يعكس تشعّبا النّظريّة الحِجاجيّة وتعقّدها، اختلفت مقاربات أصحابها، وتنوّعت مباشرات منظّريها، يحدّدون للحدث الحجاجيّ، أفضيةً في محيطها يتنزّل، وآلاتٍ بواسطتها يتصرّف.

وهذه المناحي المختلفة الّتي بها ينمازُ كلُّ منظّرٍ، إنّما تنعكس انعكاسا مباشرا على نظام الحُجّة: حدًّا ووظيفةً، كما تنطبع بها مسارات الحِجاج واستراتيجيّاتُه.

وهذه اللّحظات/ الأزمنة، إنّما عمِلت «توتسكو» على بسط القول فيها، فذكرت، لطائف كلّ لحظة وما لمنظّرها من فضل على النّظريّة الحِجاجيّة الموسّعة الّتي لم تعد مقصورةً على حقول محدّدة، تختزلها دوائر الأجناس الخَطابيّة الأرسطيّة الثّلاث: الجنس المشاوريّ/ الجنس المشاجريّ/ الجنس التّثبيتيّ؛ إذ قام هؤلاء الأعلامُ بتوسيع مجال العمل الحِجاجيّ الّذي غدا عملا، يتجاوز تلك الاجناس الثّلاثة، ليصير الفعلُ الحِجاجيُّ فعلا شاملا، تنوشم طاقتُه في بنيةِ اللّغةِ ذاتِها، ويتعدّى تاثيرُه دوائر الجماهير الضيّقة، ليحلّ في دوائرَ أخرى أكثرَ اتّساعًا وأرحبَ فضاءً: فكرة الجمهور الكونيّ، عند «بيرلمان»، كما غدا الحِجاجُ، وَفق هذا التصوّر المحدث، فاعليّةً فكريّةً مركّبةً عنها تنبثق الأنساقُ، ومنها تتولّد العوالمُ الممكنةُ.

زمن: (بيرلمان)، و(تيتكاه)/ الخطابة/ البلاغة الجديدة: (مدرسة بروكسال)

لقد عُرف "بيرلمان"، بأفضاله الكثيرة، على (النّظريّة الحِجاجيّة)، يبعثها، من رمادها، بعد أن أبلاها التّقليد السّكولاستيكيّ: (شيشرون)، وتلميذه: (كنتليان)، حوّل، البلاغةَ، من: (بلاغة جدليّة)، إلى (بلاغة محسّنات)، بها يُجمَّل القولُ وتُطرّى الاساليبُ.

وقد عدّد محمّد الوليّ (2011م) أفضال المعلّم الثّاني، في مقالةٍ له حملت، عنوان: (مدخلٌ إلى الحِجاج: (أفلاطون)، و(أرسطو)، و(شاييم بيرلمان).

نحاول أن نختزل ما وردت عليه تلك الأفضالُ، وهي كثيرةٌ في جملة من النّقاط

نصوغها بلفظنا، ونترجمها بقولنا، ومَنْ طلب الاستزادةَ، وابتغى التّفصيل فإنّه سيجد في المقالة ما يجيب سؤله، ويلبّي غُنمه:

- العودة، بـ(البلاغة)، إلى مهدها الأوّل، ونبعها الأصيل: (المجال الإغريقيّ، مع (أرسطو)، خاصّة، حيث كانت، (بلاغة حِجاجيّة/ جدليّة).
- المزاوجة بين: (علم البلاغة)، و(علم الجدل).
- المؤاخاة الرّمزيّة بين الشّيخ: (أفلاطون)، ومريده: (أرسطو)، حيث كان، الخلافُ، دائرا، بين: (أفلاطون)، و(أرسطو)، على منزلة (الخِطابة)، داخل (مؤسّسة القول) فقد اعتبرها (أفلاطون) صناعةً زائدةً لا يأتيها، إلا الجاهلُ/ المخادعُ ولا تقرّظها إلا العوامُّ، يغريهم التّحسينُ، ويشوقهم الوهمُ.

  وهذا الموقف الأفلاطونيّ من (البلاغة)، إنّما مردّه ما كان يناصبه (السّفسوطائيّون)، من عِداء قويّ يعتبرهم، (أفلاطون) معاولَ هدّامةً تشوّش انتظام الكوسموس الممثلن، فتبث في مسلّماته الشّكوكَ، وتبذر في أرضه، الحيرةَ.

  أمّا (أرسطو)، فقد حاول في (أورغانونه) أن يتجاوز حرج أستاذه، فميّز بين: (الجدل)، و(الخِطابة) وأعاد للخطابة وظيفتها: (تسيير المجتمع، في المؤسّسات الدّيمقراطيّة الاثينيّة)، كما رفع عنها الصّفات السّلبيّة الّتي كان (أفلاطون) ينعتها بها.
- تخليص (البلاغة)، من سطوة التّقليد السكولاستيكيّ: (شيشرون)، و(كنتاليان)؛ إذ حصر هذا التّقليد التّعليميّ (البلاغةَ)، في الوجوه والمحسّنات، فضيّق مجالها، وحجَّم أفعالَها.
- إبطالُ (بيرلمان)، مقولة البداهة وتعويضها، بمقولة المشاركة، مشاركة الُمحاجّ، في مسارات بناء الحقيقة، وتشييد قيم العدل، (توتسكو، 1998، ص.35).
- نقد (الإرث الدّيكارتيّ)، مركزيّة العقل المحض/ الوضوح، والتميّز، من خلال فتح الفعل العقليّ على الممكنات والُمحتملات.

  فالحقيقة ليست محلا للاتّفاق الأكمل، بل هي سيرورة مقانعة مستمرّة، تكون، الحجّةُ، أداتَها، والبيّنةُ، طريقَها، (توتسكو، 1998، ص. 34).
- فتح (علم الحِجاج)، على الممارسة الفلسفيّة الّتي عوّضت فيها مقولةُ: (المشاركة/ التّفاعل)، مقولة: (البداهة الدّيكارتيّة)، فصار بفضل هذا الإبدال

النّظريّ، للـ(محاجّ)، دورٌ، في رسم ملامح العوالم الممكنة، وللـ(محجوج)، فعلٌ في إنشاء فضاءات الاعتقاد الّتي صارت قسمةً مشتركةً بين (باثّ الخطاب) و(متقبّله).

فكلاهما، يضطلع بدور، وينفّذ، أمرا ممكنا، لا أثر للبداهة فيه، فكلّ شيء قابلٌ للمداولة الحِجاجيّة، والمباحثة الجدليّة.

إنّه، تبشيرٌ بميلاد فضاء الاختلاف، وإيذانٌ بإبطال، فضاء المطابقة/ المماثلة، فمن (الإجماع)، إلى (البينونة)، ومن، (الحقيقة الواحدة)، إلى (حقيقة ذات وجوه كثيرة، وهيئات متعدّدة) (توتسكو، 1998، ص. 35).

- لقد أنشأ، (بيرلمان) ورفيقة دربه: (لوسي البراشت تيتيكاه) نظرّيّة في البرهنة الحِجاجيّة، وذلك من خلال تحليل الوسائل الحِجاجيّة/ الوسائط البرهانيّة الّتي من شأنها أن تؤثّر في حقلي: (العلوم السّياسيّة، والقانونيّة)، وفي مجال (الفلسفة)، كذلك، (توتسكو، 1998، ص.38).
- لقد صار، (الحِجاجُ)، في نظريّة: (بيرلمان)، وشريكته، دائرًا على ما يعتبره، الجمهور من قبيل المُسلَّم به، والمفروغ منه، لا يثيرالاختلافَ، ولا يصنع، المباينةَ.

إنّه فعلٌ، لا يؤمن بالبداهة، ولا يعتقد في العوالم المغلقة، والحقائق المسيّجة.

إنّه صوتُ النّقمة على مركزيّة العقل، ووهم البداهة، (توتسكو، 1998).

- لقد فتح، (مصنّفٌ، في الحِجاج)، أمام الباحثين مجالاتٍ من التدبّر واسعةً، وحقولا من البحث ثريّةً، قارب من خلالها، الدّارسون الحِجاجَ، مقارباتٍ مختلفةً، تكشف تعقّد محتواه، وتركّب منحاه، نظرا إلى اتّصاله الوثيق بالذّات البشريّة، تتقاطع فيها، (الكفاءاتُ العقليّةُ)، مع (الكفاءات الباتوسيّة)، بهما تكون حركة الكائن في الوجود، يعقل آياته، وينفعل بمظاهره، فتختلف الحقيقةُ، ويتباين التّقديرُ.
- صار الحِجاجُ، في مدرسة: (البلاغة الجديدة)، فاعليّةً إنسانيّةً شاملةً: (التّجربة اليوميّة، التّجربة الذّاتيّة، التّجربة الجماعيّة...).

وقد اختزل محمّد الوليّ، في حديثه عن بيرلمان، هذا الفضل؛ إذ يقول: «هذه هي، إذن، إضافة بيرلمان: توسيع البلاغة إلى الحدود البعيدة، وذلك عبر دمج (الجدل)، والإنسانيّات عامّة، والـتّحاور اليوميّ/ العمليّ، في هذا النّموذج

الموحّد الّذي دعاه، (البلاغة الجديدة)، (...)»، (توتسكو، 1998، ص. 35).
ولكنّ فضائل بيرلمان، على الخِطابة الّتي صارت عنده (بلاغةً جديدةً)، زاوج في محيطها بين (الجدل)، و(الخِطابة)، لم تكن، فضائلَ كاملةً، إذ أغفل، بعض الجوانب، وفرّط في بعض الشّواغل، حصرها محمّد الوليّ، يقوّم، حدود بيرلمان، في التّأسيس لعلمه الجديد في النّقاط التّالية:

- تعمّد بيرلمان، إبعاد الجوانب السّيكولوجيّة الّتي استاثرت، بـ(الجزء الثّاني) من خِطابة (أرسطو): (المباحث المتعلّقة بنوازع الباثّ والمتلقّي والأخلاق، تبعا للأعمار والجنس والأوضاع الاجتماعيّة).
- لم يحز ترتيب الخطابة؛ أي: ترتيب وحداتها النصيّة أو الخِطابيّة: (التّمهيد، الإيعاز، المجمل، العرض، السّرد، الوصف، الاستطراد، الحِجاج، الدّفاع، التّفنيد، الخلاصة/ الخاتمة)، في (بلاغة (بيرلمان) الجديدة)، العناية الكافية، رُغم مركزيّته في فكر (أرسطو) الخطابيّ.
- الصّياغة اللّغويّة/ اللّفظيّة: وقد ردّ محمّد الوليّ، غفلةَ بيرلمان، عن بعض النّكت الخَطابيّة، كما وردت في أسفار (أرسطو)، الخاصّة بـ(فنون القول)، و(اجناس الخطاب)، إلى حرص بيرلمان الشّديد على تحقيق الانسجام النّظريّ والاتّساق المنهاجيّ، وهي خلالٌ كانت غائبةً، في مؤلّفات (المعلّم الأول)، نظرا إلى طغيان الوظيفة التّعليميّة، وسيطرة الطّابع الشّفوي على سياق صناعة العلم في البيئة الإغريقيّة.

فكون الأفكار الخِطابيّة، إنّما كانت في الأصل دروسا ألقيت على طلاب المعهد الأثيني هي العلّة الّتي منعت (أرسطو)، من ضبط أفكاره وتبويب رؤاه، فغمر دفقُ الفكر، مظهرَ الشّكل، فكان، (الأرغانون)، صورةً حيّةً، على طرائق إنتاج المعرفة في بيئة يونان، يختزل قوانينها، ويمثّل حياتها.

زمن المناطقة:

وقد جعلت، (توتسكو)، مواقيتَه قائمةً على ثلاثة أعلام بارزين، يُنمى إليهم الفضلُ في تخصيص هذه المرحلة، وإقامة صرح النظريّة الحِجاجيّة على الرّافد المنطقيّ بمختلف أنحائه: (الشّكليّ، واللاشكليّ، والمقوليّ، والتّوجيهيّ، والتّحليليّ...).

ونظرا إلى طبيعة كلّ طريقة منطقيّة في حدّ الحِجاج، وضبط أفعاله، سنفرد لكلّ علم، حديثا، يعرّف بفلسفته، ويبسّط نظريّته؛ اذ لا ندّعي امتلاكنا الاكمل لعلوم

المناطقة، بل نوردها من باب ما يُحتاج إليه، في فهم مسارات الحِجاج الّتي قد تخترق، المدوّنات الّتي نعمل على كشف أسرارها، واستخراج هياكلها: (المنطقيّة، والبرهانيّة)، وطرائق أصحابها في شرعنة العقائد وتمكين التصوّرات.

ميقات: (أبوستال): Apostel (L)

لقد أثر، عن أبوستال: (رجل منطق من أصل بلجيكيّ)، جهده في تعميق النّظريّة الحِجاجيّة، وذلك من خلال إدماج الجانب الاجتماعيّ للفكر داخل الدّائرة المنطقيّة، كما اعتبرت (توتسكو)، منوالَ (أبوستال) الحجاجيَّ، منوالا معقّدا في قوسه، أكثرُ من وَتَرٍ، لأنّه جامعٌ لتخصّصات متعدّدة، وقائمٌ على أسس مختلفة جعلته يعتبر الحِجاجَ حاصلَ تفاعلٍ بين القيم اللّغويّة والقيم الدّلاليّة.

وبالعودة إلى حديث: (توتسكو)، عن منوال (أبوستال) الحِجاجيّ من جهة كونه، منوالا مركّبًا تمثّل إرثَ الأسلافِ: (التّقليد اليونانيّ)، و(التّقليد الرّومانيّ)، و(التّقليد السّكولاستيكيّ...)، وتشرّب محدث الأخلاف: (بيرلمان وجماعته)، يمكن أن نختزل ما أوردته، (توتسكو)، من نُكت نظريّة: (أبوستال)، ولطائفها المفهوميّة في محاور الاهتمام التّالية:

- منوال (أبوستال) المنطقيّ، منوالٌ معقّد البنية، جمّ الرّوافد، يستضيف لبناء نظمه المعرفيّة:
- نظريّة النّزاعات لـ(برلاين): (La thèorie des conflits de Berlyne)، المستعملة في تأويل الإخبار النّفسيّ: (L 'information psychologique).
- نظريّة اللّعب: (La thèorie des jeux)، لـ«فوت تيمان»، و«مورغنشترن» Morgenstern، وقد استعملها، (أبوستال)، للإجابة عن معضلات نظريّة، لها علاقةٌ بالدّرس الحِجاجيّ، مثل: (ما هي الهياكل الحِجاجيّة المؤاتية للعبة بلاغيّة مّا/ أن تكون، اللّعبةُ البلاغيّةُ، لعبةً من درجة ثانية؟).
- مكتسبات نظريّة: بياجي J. Piaget النّفسيّة/ السّيكولوجيّة.

+ المنطق الحواريّ التّعامليّ: (Dialogique operationnelle)، لـــ: لورنزن: P. Lorenzen.

إنّ هذه الرّوافد النّظريّة الّتي استضافها أبوستال، لبناء معلمه النّظريّ/ المنطقيّ، دليلٌ على تعقّد نظريّتة المنطقيّة/ الحِجاجيّة وتركّب أنسجتها.

كما ذكرت توتسكو، إضافة إلى أسس نظريّة أبوستال المنطقيّة/ الحِجاجيّة، وما

قامت عليه من تعقيد نظريّ، وتشعّب معرفيّ، فضائله ومزاياه في تعميق الدّرس الحِجاجيّ، وإثراء آلاته، وتوسيع حقله، وتعديد وظائفه.

وهذه الفضائلُ وردت في الأصل مفصّلةً، نحاول إجمالها على طريقتنا، في النّقاط التّالية:

- المصاهرة بين نظريّة التّوازن العِرفانيّ: (L'equilibre cognitive)، وبين النّظريّة الحِجاجيّة، حيث انطلق أبوستال من فكرة رئيسة، مدارها على أنّ كلّ حِجاج، إنّما يرمي إلى تبديل العادات والمألوفات، وتحويل العقائد والقناعات.
- رَابُ التّصدّع/ عدم التّوازن، الحاصل بين المقدَّمات الحِجاجيّة ونتائجها، أو بين الُمحاجّ والمحجوج، بواسطة التّقنيّات الحِجاجيّة الّتي ترمي إلى إعادة التّوازن بين الأطراف المتحاورة/ المتحاججة.
- تكمن غاية «أبوستال» في إقامة صرح نظريّة حِجاجيّة/ منطقيّة معقّدة، يجتمع في محيط دائرتها، علم النّفس، وعلم المنطق، وعلم الخِطابة، نعتها، بـ: «النّظريّة المنطقيّة الإدماجيّة/ التّجميعيّة».
- لقد أخذ، أبوستال على عاتقه، مواصلة خطّ بيرلمان وتيتيكاه، مضيفا إليه، تركيباتٍ نظريّةً أسعفته بها، علوم عصره ومحدثات زمانه، فكان له على الأصول، فضلُ تأصيلها، وسابقةُ تعميقها.
- تستدعي نظريّة أبوستال المركّبة، توظيف بعض من الأفكار النّظريّة الّتي قام عليها منطق العمل/ الفعل: La logique de l'action.

ميقات: (فون رايت): Von Wright (G.H)

لقد نعتت، (توتسكو)، منوال "فون رايت"، بـــ"منطق: (الفعل)/ (العمل)، فلئن كان (المنطق الشّكليّ) في نسخته القديمة/ الكلاسيكيّة، يصف، حال عالم ثابت/ ساكن، فإنّ منطق العمل/ الفعل، والمنطق الـــ"ديونتيكيّ"، كلاهما، يضع في حسبانه، مبدأ الحؤولة/ التحوّل/ التغيّر.

ومن هذا المنطلق عَدّت (توتسكو)، "فون رايت"، رائد، (المنطق الديونتيكيّ) الّذي كان كتابه: Norm and Action (المعيار والعمل)، مختزلا لقواعده، وشاهدا على مبادئه.

وقد دارت نظريّة: «فون رايت» على أنّ الأحوال لا وجود لها مسبقا/ وجودها ليس وجودا قبليّا، وإنّما هي محدثاتٌ يبتدعها الإنسانُ، فتكون نتيجة لتدخّله في

العالَم، ومالا لتأثيره في الكون.

وقد قام منطق: «فون رايت» العمليّ/ الفعليّ على مبدإ توسيع محاصيل المنطق القيميّ: La logique des normes ، القائم على الزّوج: (الجبر/ والاختيار)، وقواعد المنطق الطّبيعيّ، وأسس المنطق الرّياضيّ من جهة كونها، أنواعا منطقيّة متعارضة، يمثّل كلُّ نوعٍ منها حقبةً مخصوصةً من حقب تطوّر العقل البشريّ، ينمّي طاقاته التّجريديّة، ويطوّر كفاءاته التّمثيليّة، فينتقل من نمط تفكير إلى نمط تفكيرٍ آخرَ، دليلا على طبع الحؤولة فيه، تنمّيه التّجاربُ، وتثريه الحاجاتُ.

وقد فرّق «فون رايت»، -وهو يميّز منطقه العمليّ-، بين أنواع أربعة، من المنطق:

- المنطق الحدَّيّ/ القيميّ: La logique des normes: (هو منطقٌ مرتبطٌ بالقيم والحدود/ التّعريفات والضّوابط).
- المنطق الطّبيعيّ: La logique naturelle: (هو منطقٌ مرتبطٌ باللّغة الطّبيعيّة).
- المنطق الرّياضيّ: La logique mathématique: (هو منطقٌ مرتبطٌ بالأبنية الرّياضيّة).
- المنطق الخِطابيّ: La logique discursive: (هو منطقٌ فاعليٌّ متّصلٌ بالأبنية اللّغويّة).

ميقات غريز: Grize (J.BL)

مبتدع (منطق الخطاب): La logique discursive ، وهو من أصول سويسريّة، قام منوالُه على جملة من المبادئ النّظريّة، اختزلتها، (توتسكو)، في النّقاط التّالية:

- اعتبار الاقتناع، نتيجة مسار حِجاجيّ معقلن ومرسوم سلفا.
- استراتيجيّات البرهنة.
- الحِجاج، عملٌ خاصّ وفعلٌ فرديّ.
- الاستدلال، عملٌ عامّ وفعلٌ جماعيّ.
- المسار التحاوريّ، يكون على ضربين: حضوريّ/ شهوديّ وغيابيّ/ افتراضيّ.
- لقد قام «غريز»، باستبدال (المنطق النّظاميّ): La logique-système، بـ(المنطق القضويّ): La logique-procés.

ميقات فينيو: Vignaux (G)

لقد قامت، نظريّة "فينيو"، المنطقيّة على جمع من المبادئ النّظريّة، أوردتها (توتسكو)، مفصّلةً، ونبسطها -نحن-، مختزلةً في النّقاط التّالية:

- مبدأ البرهنة/ الاستدلال الحِجاجيّ.
- الخطابُ: نظامٌ منطقيٌّ قائمٌ على ضربٍ من العلاقات المتتابعة/ متتالية من العلاقات.
- تُوجّه الخطابَ، منظومةٌ، من القيم: (القواعد، المبادئ، الافكار المسبقة، الإيديولوجيا، الأوضاع السّوسيو- تاريخيّة...).
- تحليل: "فينيو"، أفعال الذّات الخطابيّة في الحقل المعجميّ/ النّحويّ.
- أفعال الذّات الخطابيّة، هي: (الأفعال/ الأعمال: النّحويّة، الصّرفيّة، المنطقيّة، التلفّظيّة، البلاغيّة).
- أطروحة: "فينيو"، دائرةٌ على مبدإ: (مسرحة الخطاب الحِجاجيّ)، فالفعل/ العمل الحِجاجيّ، فعلٌ/ عملٌ، أقربُ إلى العمل المسرحيّ، منه إلى المنطق المريضَن.
- يجب أن تكون، بنيةُ (الخطاب الحِجاجيّ)، بنيةً قائمةً على ألعاب الخطاب، واستراتيجيّات الحمل على الإقناع.
- تتّصف (مسرحةُ الخطابِ) بفكرة النّظام: (نظام صناعة الخطاب، إنشاء الخطاب، نظام طرح الأسئلة، نظام الحُجج الواجب توافرُها والاستظهارُ بها).
- بناء التّمثيلات الّتي يامل، المحاجُّ، إقناع المخاطب بها.
- مجال الاستراتيجيا المتقنة/ الدّقيقة، إنّما هو فعلُ النّظام، حيث يكون الوجود، متأسّسا على الزّوج العلائقيّ: (ذات/ سامع)؛ إذ يمكن أن يكون، الخطابُ كلُّه، حُجّةً مبنيّة على فكرة النّظام.
- المقولات الحِجاجيّة: (حجّة الاتّجاه، حجّة التّوضيع، حجّة الإعلاء/ التّضخيم)، إنّما تكشف أنّ فكرة النّظام استراتيجيا من استراتيجيّات الذّات/ المحاجّ.

زمن تولمين: Toulmin ST.E منوال الضّمير المختزل/ : (المدرسة الامريكيّة)

- لقد وصف "كريستيان بلونتان" البلاغة الفرنكفونيّة/ الأوروبيّة، بكونها بلاغة كتالوغ/ بلاغة مسارد، فهذا الوصف هو عكس ما قامت عليه البلاغاتُ الّتي نشأت في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، فهي بلاغاتٌ متّصفةٌ بانفتاحها على الفعل/ العمل، وعلى التّحاور/ التّلافظ، وعلى إبيستيميّة العالم المعاصر.
- لقد تلقّفت البلاغةُ الأمريكيّةُ، أفكار "بيرلمان"، ثمّ شرعت في إغنائها وتطويرها.

- قبل أن تصير البلاغةُ في الولايات المتّحدة "علما قائما برأسه ومفيدا لمعناه"، فقد كانت في الأصل حدثا تاريخيّا وفعلا اجتماعيّا ذا بال، لها اتّصالٌ بالأبنية الإجتماعيّة والأخلاقيّة والثّقافيّة، فهي فعلٌ تزاوج مع الخطابات الاجتماعيّة، وحدثٌ تآخى مع العقليّات وآلذّهنيّات.
- البلاغة في المجال الأمريكيّ، آلةٌ ناجعةٌ، في إعداد المواطن وتهيئته لممارسة النّشاط العامّ والفعل المشترك (كلّ ما يتعلّق بالنّظام العامّ من شؤون ومشاغل)؛ لذلك حُدّ التّخاطبُ العموميُّ بكونه "مواطنة خَطابيّة/ بلاغيّة".
- للخِطابة في المجال/ الفضاء الأمريكيّ، مجال، الـ:Speach departments مكانةٌ كبيرةٌ، حيث تُعقد، في هذا المجال/ الفضاء لقاءاتُ التّباري الخطابيّ/ المنافسة الخطابيّة.
- لقد تزامن ميلاد الخطابة في أمريكا مع إنشاء المؤسّسات المتعدّدة وبعث المجلات المتخصّصة.
- إنّ، الخطابة الأمريكيّة، إنّما هي آلةٌ ناجعةٌ، بها يتواصل النّاسُ، ومن خلالها يفكّرون، أكثر من كونها حدثا اجتماعيّا.
- يبقى التّفكير اللّسانيّ، بالنّسبة إلى الخطابة الأمريكيّة، خلفيّةً غريبةً عنها، نظرا إلى ارتباطها بالكلام الحيّ، لا بالخطاب المكتوب.
- تشمل الخطابةُ عامّة مجالاتٍ أربعةً: (المجال الآليّ/ الصّناعيّ، المجال الأدبيّ المجال الفلسفيّ، المجال الاجتماعيّ).
- لقد قامت، البلاغة الحِجاجيّة الأمريكيّة على توجّهين اثنين أساسيّين:
- توجّه أرسطيّ محدث يُعنى بدراسة وضعيّة الخطيب داخل سياق تاريخيّ محدّد.
- التوجّه الايبستيميّ، ويمثّل التيّار السّائد، والظّاهرة البارزة في الخطابة الأمريكيّة، وقد رفع لواءَ ريادة هذا الاتّجاه، Edwin Black، صاحب كتاب: *Rhetorical Criticism. A study in Method*, 1965. وقد عمل هذا المؤلّف على تطوير التّقليد الأرسطيّ وإغنائه من خلال بلورة رؤية نقديّة قادرة على مواكبة ما تمور به، الحضارةُ الحديثةُ من حَراك وجدل، وذلك، بغية إرساء بلاغة موسّعة تكون قادرة على استيعاب التّحوّلات الايبستيمولوجيّة الّتي تشهدها البيئةُ الفكريّةُ المعاصرةُ، فعلى هذه الخلفيّة النّظريّة تأسّس، تيّارُ:

(البلاغة/ الخطابة الايبستيميّة) التيّار الّذي يعتبر الخطابة/ البلاغة، مذهبَ معرفةٍ وتيّارَ علمٍ فصناعة المعرفة إنّما هي غاية الغايات ومقصد الجهات في تيّار (الخطابة الأيبستيميّة).

- يعدّ، كتاب: (تولمين)، The Uses of Argument، الأثر الأبرز الّذي يختزل قواعد التيّار الايبستيميّ الخطابيّ؛ إذ بيّن، (تولمين) في مؤلّفه هذا إنّنا في كلّ عمل نحدثه أو فعل نقوم به، إنّما نحتاج إلى برهنة لا شكليّة متأسّسة على مبدإ: (الاحتمال/ المتوقّع).
- لقد ابتدع (تولمين)، مفهوم: (الحقل الحِجاجيّ): Champ Argumentatif.
- يقف «تولمين» في تنظيراته متوسّطا بين خبراويّة: «بيكون» الّذي يرفض أن يكون (الحِجاجُ التّقييسيّ): Syllogisme déductif، أنموذجا للاستدلال/ البرهنة الصّائبة، وبين التيّار الذّرائعيّ الّذي طفق شيعتُه بعد بيرس Peirce، يؤوّلون القواعد المنطقيّة، بوصفها مشيرات/ دلائلَ عمليّةً ناجعة في البحث والتدبّر والتّفسير.
- لقد قطع «تولمين» مع المنطق، بوصفه تخصّصا ماكسما/ تخصّصا مرتبطا بالقيمة المعياريّة كما قطع، مع نظريّة «أرسطو» الدّائرة على مركزيّة السّامع، وبنى نظريّته على ضرورة توسيع الحقل المنطقيّ حتّى كاد أن يجعله منصهرا مع خطاب في الطّريقة جديد.
- منوال: «تولمين» هو منوالٌ معقلنٌ، يولي التّحليل الايبستيمولوجيّ الّذي هجره المناطقةُ مكانةً، ويجعل له اعتبارا.
- إنّ منوال: «تولمين» إنّما هو منوالٌ نظريٌّ، يتقمّص دور «أرسطو»، ضدّ أرسطو: أرسطو *المواضع*، ضدّ أرسطو *التّحليلات*.
- لقد أحيا «تولمين» مفهوم الموضع، ثمّ أعاد إدماجه داخل نظامٍ من البرهنة قائمٍ على ستّة روابط/ وصائل: (D–C–F–R–L–S).
- تعمل، البلاغة/ الخطابة الإيبستيميّة على تعميق المباينة بين المتحاجّين، وذلك من أجل خلق معرفة جديدة؛ فهي بلاغةٌ لا تجري إلى إحداث التّوافق بين الأطراف المتنازعة، بقدر ما تجري إلى تعميق الفجوة بينهم؛ فهي بلاغةٌ لا ترى في الحقائق المسبقة والآراء المشتركة، دليلَ نجاعةٍ وإمارةَ انسجامٍ.
- ترمي، بلاغة: «تولمين»، إلى إقامة بلاغة متأسّسة على مسؤوليّة إيطيقيّة يستند إليهاحدث صناعة الحقائق.

- الحجاج، فنٌّ نقديٌّ/ ناقدٌ، يرمي إلى إعادة بناء التوقّعات، كما يجنح/ يهدف إلى إنشاء المعرفة وتوليد الأنساق.
- إنّ خطابة: (تولمين)، خاصّة وتيّار الخطابة الأمريكيّة عامّة، رُغم تباينات منظّريه وكثرة مواقيته ومناحيه، إنّما يهدف إلى إحداث المصاهرة بين القيمة الايطيقيّة ومفهوم النّجاعة من جهة كونها ركنا أساسيّا في إنشاء المعرفة وتوليد الأنساق، كما تتقوّم الخطابة الأمريكيّة بضرورة أن يضع المحاجُّ/ الخطيبُ نصب عينيه عقائد الشّعوب وعاداتهم، قبل أن يستنّ، قانونا أو يُجري، عرفا، أكان من طبيعة سياسيّة أمْ، اجتماعيّة، أمْ إجرائيّة/ عمليّة.

زمن: (ديكرو)، و(أنسكومبر) Ducrot (O) et Anscombre:(J.CL): (الإبلاغيّة، والحِجاجيّة/ حجاجيّة اللّغة الجذريّة)

لقد تابعت، (توتسكو)، نظريّة: (ديكرو)، و(أنسكوبر)، متابعةً مفصّلةً، وقفت على أهمّ ما يميزها من أصول نظريّة وخصائص فلسفيّة، نجملها، -نحن-، من جهتنا في محاور الاهتمام التّالية:

- الحِجاجيّة، بحسب: (ديكرو)، و(أنسكومبر)، صفةٌ محايثةٌ/ ملازمةٌ للّغة..
- ربط التّداوليّة بين الجوانب النّحويّة والدّلاليّة.
- تداوليّة: (ديكرو)، و(أنسكومبر)، تداوليّةٌ ذات أصل بلاغيّ مدمج داخل النّسق الدّلاليّ، إضافةً إلى كونها، تداوليّة تشتغل أساسا على بنية الملفوظ النّحويّة.
- تتأسّس نظريّة: (الحِجاجيّة الجذريّة/ الأصليّة) على عكس: (المقاربة اللّسانيّة) الّتي تعتبر الدّلالةَ، قيمةً من قيم الحقيقة الأخلاقيّة على شاكلة ما كان يراه (المنطقُ الشّكليُّ) من قبلُ.
- اكتشف كلٌّ من: ((ديكرو) و(أنسكومبر)، العوامل الحِجاجيّة الّتي تصل/ تربط، بين الجمل، حيث تمنحها، المعنى وتهبها التَّدلالَ.
- تحيّن، نظريّة: (ديكرو) و(أنسكومبر)، مفهوم: (الموضع)، وتبعث فيه، الحياة، وتبثّ داخله، الحركة.
- يتضمّن كلّ ملفوظ قيمةً حجاجيّةً، وتوجيها برهانيّا، وصفة موضوعيّة/ إخباريّة.
- لقد أشار، كلّ، من: (ديكرو)، و(أنسكومبر) إلى ما اصطلحنا، عليه، بـــــ:"القوّة الحِجاجيّة": La force argumentative.
- الحِجاجيّة، صفةٌ محدّدةٌ لقوّة الملفوظ الحِجاجيّة.

- تتأسّس أطروحة: (ديكرو)، و(أنسكومبر) على فكرة مدارها على أنّ للملفوظ طبقتين: طبقة المقول الظّاهرة وطبقة: المخفيّ الباطنة: (المظهر/ والمخبر).
- تتأسّس، نظريّة: (ديكرو) و(أنسكومبر)) على الاعتناء بظاهرة التّلفّظ ودراسة أفعال الكلام.
- يسعى، كلٌّ من (ديكرو) و(أنسكومبر) إلى بناء نظريّة، تدمج التّداوليّة في الدلائليّة/ النّحويّة.
- تميّز نظريّة: (ديكرو)، و(أنسكومبر) بين عمل المحاجّة: (Acte d'argumenter)، والحِجاج: ((Argumentation.
- لا بدّ أن يتوفّر في الحِجاج، ملفوظان على الأقلّ: (E1، وE2).
- يضطلع عمل المحاجّة، بثلاث وظائف على الأقلّ: (التّفويض، البرهنة، معارضة الآخر).
- فعل المحاجّة، فعلٌ مجرّدٌ، يمكن أن ينجز خارج دائرة الحِجاج النّظريّة.
- يميّز، كلٌّ من: (ديكرو) و(أنسكومبر) بين الإخباريّة والحِجاجيّة، حيث تكون، الإخباريّة، صفةً تابعةً، للحجاجيّة.
- يتضمّن، الإخبار الظّاهر، جوهرا حِجاجيّا.

زمن إيميرن، وجروتندورست: Eemern (Frans.H.Van) et Grootendorst (Rob)/ (مدرسة امستردام: التّداوليّة الجدليّة)

لهذه المدرسة، جملةٌ من المبادئ النّظريّة، أهمّها:

- التّمييز بين البلاغة/ الخطابة والحِجاج.
- اعتماد المقاربة البراغماتيّة/ الجدليّة.
- اعتماد المقاربة شبه المنطقيّة القائمة على اعتبار (أفعال الكلام)، أفعالا ذاتَ أصلٍ معياريّ.
- اعتماد مبدأ المحاورة النّقديّة في تحليل الحدث الحِجاجيّ، إضافةً إلى التّركيز على الـــ: "باتوس" والـــ"إيتوس"، رافدين من روافد تفكيك عمل المحاججة، وفهم الخفايا والمضمرات.
- للمحاورة النّقديّة، جملةٌ من القواعد، أهمّها:
- دور السّامع في بلورة المسار الحِجاجيّ وتحديد مداراته.

- اعتماد أنماط/ ضروب من الحِجاج مختلفة: (الحِجاج المظهريّ، الحِجاج التّقييسيّ، الحِجاج العليّ/ السّببيّ).
- قيام هذه النّظريّة على مبدإ تعقّب الأخطاء/ المغالطات الحِجاجيّة الّتي يرتكبها، المحاجُّ.
- البعد المنطقيّ في نظريّة: (أفعال الكلام).
- يقتضي تحليل الأخطاء/ المغالطات الحِجاجيّة إعادة بناء (الواقع الحِجاجيّ) بطريقة معياريّة، تجنح إلى النّقد وترمي إلى المحاورة.
- تجمع هذه النّظريّةُ بين (تداوليّة أفعال الكلام) وبين (القانون الجدليّ) الّذي عليه، تتأسّس المحاورة النّقديّة.
- للنّجاعة المنطقيّة دورٌ فعّال في الحِجاج.
- يعتبر كلٌّ من «إيمّارن وغروتندروست» في كتابهما: *علم الجدل الجديد* (*La nouvelle dialectique*)، التّحاور النّقديّ/ المحاورة النّقديّة عبارة عن مسار تفاعليّ موجّهإالى حلّ خلاف قائم في الآراء، بواسطة تبادلٍ لأفعال الكلام منظّم.
- علم الجدل الجديد هو علمٌ يركّز على حجج الخصم الضّعيفة/ المتداعية أكثر من تركيزه على الخصم ذاته.
- يصنع المحاجُّ حقائقه من خلال تصيّد سقطات خصمه، فيرسم له صورة مقدودة من ضعفه، أو من خلال وقوعه في أحبولة المحاجّ، تكون في العادة صورة مخالفة لواقع الخصم، مناقضة لحقيقته الأصليّة.

وهذا دليلٌ على أنّ المقام الحِجاجيّ باعتباره مقامَ مقانعةٍ وإثبات دحضٍ وتعطيلٍ لم يكن حاصلا موحّدا، أو سياقا منمّطا، لا اختلاف فيه ولا تباين، لا بل، كان، قائما على المغايرة، متأسّسا على الاختلاف، لذلك أنتج كلُّ عَصرٍ مقامَه، وأبدع كلُّ زمانٍ خطابَه، فحِجاجُ العصور القديمة، ليس حجاجَ الأزمنة الرّاهنة، لأنّ الآلاتِ اختلفت، والهواجسَ، تباينت، والرّهاناتِ تغيّرت.

وما إقامة: (بيرلمان)، حجاجَه، على مركزيّة الجمهور سوى دليلٍ على ارتباط خطاب المقانعة بالمتلقّي، تختلف ملامحُه، من زمان إلى زمان، وتتباين حاجاتُه من عصر إلى عصر، فلا تجانس ولا مماثلة.

ومن هذا المنطلق المعرفيّ الّذي يجعل النّظريّةَ الحِجاجيّةَ شأنها شأنُ كلّ محدث

بشريّ، نظاما من الأبنية البرهانيّة، ونسقا من المسانيد الاستدلاليّة تطبعها الحؤولةُ، ويسمها التّغيّرُ، فلا قرار ولا سكون.

وهو ما جعلنا -ونحن نجرّب، كفايات المنوال الحِجاجيّ- على المتن التّراثيّ العربيّ والإسلاميّ، لا نقنع بإجراء واحد، ولا نطمئنّ لنظريّة بعينها، أقمنا خيارَنا الفكريَّ على استبطان أرحقة تلك النظريّات، بعد تمثّل حقائقها، والوعي بحدودها، لأنّ استضافة المناويل النّظريّة إنّما، تحتاج، من الباحث، الوعيَ المتينَ والنّفاذَ المكينَ، حتّى لا يقع في دوائر جذبها، ولا يسقط في براثن سِحرها، خصوصا إذا ما تحوّلت تلك المناويلُ المستضافةُ، بعد التّمكين والشّرعنة، أنظمةً اعتقاديّة فقدت نسبيَّتها، وهجرت محدوديّتها لتغدو (أرثودوكسا مصونا)، لا تقبل الشكَّ، ولا تجيز الخَرقَ، فتستتمّ الأنساقُ، وتنغلق الدّوائرُ، فلا اجتهاد، ولا أحداثَ.

وبذلك، تصنع اللّغةُ، تمائمها، ويبدع الخطابُ أساطيرَه، وميثولوجيّاتِه الّتي يكابد مبدعوها من أجل صناعة مقولات عابرة للتّاريخ، مثل: (المطلق الخالد)، (الأبديّ الدّائم)، و(الفاعل الأوحد)، و(النّسق الأكمل)، و(الفرقة النّاجية)، و(المعنى الصّحيح)، و(الاستعمال الفصيح)، و(النصّ الأصليّ...).

ومن خلال هذا (الاعتقاد المعقلَن) الّذي يبدعه القائمون على إدارة الحقائق، ورسم مساراتها، وتحديد دوائر نفوذها، داخل مؤسّسات الاعتقاد الكليانيّة، يسود النّمطُ العقائديُّ الواحدُ الّذي سرعان ما تُضرب حوله المتاريسُ، وتُحفر على جنباته الخنادقُ، حتّى لا يتجاسر (أصحاب اللّوثات المارقة)، على خَرق مِنعته، أو هتك سطوته، فلا يدوم له فعلٌ، ولا يخلد له قولٌ.

وقد كانت عشرتنا، متونَ المفسّرين، ومدوّنات المؤوّلين في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة العالمة: (الطّبريّ)، (الزّمخشريّ)، (ابن عربيّ)، سندا لنا قويّا، اكتشفنا من خلاله أنظمة الحقيقة في هذه الثّقافة وطرائق إقناع مَنْ أمن، وصدّق من المطيعين لما تقضي به صدقيّة تلك المعاني المستخرجة، إن بالتّفسير، وإن بالتّأويل من سور (النصّ المؤسِّس) وآياته الّتي ادّعت، كلُّ جماعةٍ، امتلاكَ أقاليدِها، وتصوّرت كلُّ فرقةٍ، إجادةَ أنحائِها، فاحتكرتها لنفسها، ومنعتها على غيرها.

وهو ما أنشأ، ما يمكن أن نصطلح عليه، بـ:(أسطورة المعنى الأصليّ) المحفوظ في الألواح المخفيّة، والمودع في الصّدور الرّضيّة، والمخبّأ، في الآفاق القصيّة/ العليّة الّتي يحرسها الإله، ويلفّها الصّمتُ، وتحوّطها الألغازُ، حتّى لا تنكشف الأسرارُ، ولا تنجلي الأغوارُ، حفاظا، على بقاء النصّ ملفوفا، في غموضه الأزليّ

الّذي يمنحه التّجدّدَ الدّائمَ، ويعلّق بلغته السّحرَ، والفتنةَ، فلا يتوقّف، الأوّلُ، ولا ينتهي، القولُ.

إنّها فاعليّة الرّمز، تتجدّد بتجدّد الحاجات، وتتعدّد بتعدّد الغايات، يرشّحها التّاريخُ، ويغنيها فاعلُوه، فتتكاثر الأشكالُ، ويتضاعف، المقالُ.

وخير دليل على هذا الزّعم النظريّ الدّائر على الفاعليّة الرّمزيّة، كثرةُ تفاسير القرآن الّتي تعكس مدى تمكّن هذا السّحر، من خطاب المفسّرين/ المؤوِّلين، أعني: اعتقادَهم المطلقَ في مقولة: (المعجز الفريد)، و(الكامل الوحيد)، حتّى لا يلتبس، -كما يدّعون- البشريُّ، بالإلهيّ، فتضطرب المنازلُ، وتتداخل الأدوارُ، ويفقد النصُّ سحرَه، ويضيّع فعلَه، فتختلط المواضعةُ، بالتّوقيف وتنهار، المزاعمُ، وتتهاوى الأركانُ، فلا نفوذ ولا سلطانَ.

تركيبٌ ومجاوزةٌ

وقد قادنا النّظرُ في تلك المتون من منطلق الآلات الّتي كان يوظّفها المفسِّر/ المؤوِّل، ليقنع النّاسَ، برأي، أو ليحملهم على تركه، وهجرانه إلى الظفر بجملة من الجوامع التّأويليّة، يمكن اختزالها في القوانين النّظريّة التّالية:

- الحِجاج، في الثّقافة الإسلاميّة الأصوليّة، حجاجٌ إثباتيٌّ يرمي إلى إعلاء النصّ القرآنيّ، يفوق نظيريه/ خصميه: (التّوراة)، (الأناجيل)، ليكون النصَّ الكاملَ، والخطابَ الشّاملَ الّذي لا يفوقه خطابٌ، ولا يبارزه نجابٌ، إنّه المطلقُ الأبديُّ، والحقُّ اللّدنيُّ، يُحفظ كاملا، ويخلد، شاملا، لا تغيير لآياته، ولا تبديل لبارقاته، يصونه الأبدُ، ويديمه، المطلقُ: آيةً على الكمال، وأمارةً على الخواتم الرّضيّة، والحِكم الزكيّة، فيدوم الفعلُ، ويخلد التّأثيرُ.
- الحِجاج في المتون المختبرة، آلةٌ تأويليّةٌ، تُنتج أنساقا من الفهم، وأنماطا من القصد، تتوافق مع عقائد المحاجّ، وتتناسب مع مزاعم المستدلّ، لذلك قد يغيب البرهانُ المنطقيُّ، ويحضر القصدُ العقائديُّ الّذي ينجم عنه، نظرا إلى ما يحمله من نفوذ رمزيّ، وجبروت قهريّ، نوعٌ من الفكر التّماميّ، طرد من حومته الاختلافَ، وأشرع أبواب المماثلة: طاعةً لأمرٍ، أو استجابةً لقَهرٍ.

والنّاظر في خطابات المفسِّرين/ المؤوِّلين، سيلحظ، أنّها خطاباتٌ مسكونةٌ بالرّيبة، مخترقةٌ بالشكّ، شابها، الاضطرابُ، ووسمها، التردّدُ.

وهذا دليلٌ على أنّ أنظمة لغتها الصّامتة، إنّما تحمل توقا إلى الانعتاق سرعان ما يحبطه الخوفُ، أو يبطله، الخضوعُ، لذلك لم يكتمل المشروعُ التّأويليُّ العربيُّ والإسلاميُّ، أعاقه التّبريرُ وفقّره التّقريرُ، نظرا إلى ما رسمته، مؤسّساتُ الاعتقادِ من الحدود والضّوابط، لا يتعدّاها جسورٌ معانِدٌ، حتّى لا يكثر الأوْلُ، ولا يتعدّد القولُ، فتضيع المراتبُ، وتضطرب المنازلُ، ويضعف النّفوذُ.

- لقد غدا، الحِجاجُ من جهة كونه، نسقا نظريّا مجرّدا، فعلا يرمي إلى التّمكين أو واسطةً تطمح إلى التّعيين، وباعتباره كذلك، ممارسةً حيّةً وعملا منجزًا، يأتيه أصحابُ القول، نسقا تأويليّا، ونظاما تفسيريّا، يحمل في ذوات أصحابه رؤى للعَالم ومواقفَ منه، إذ لم يعد -استنادا إلى هذا التصوّر-، إجراءً عقليّا محضا، أو فعلا منطقيّا مجرّدا، دافعُه الأصليُّ الإقناعُ، أو الحملُ عليه، بل غدا إجراءً مركّبًا، وسياقًا معقّدًا، يستدعي مختلِف الكفايات الإنسانيّة: ما تعلّق منها بالرّوافد العقليّة، وما تعلّق منها بالرّوافد العاطفيّة، ليجعلها تعتمل داخل بوتقة واحدة، بوتقةِ تمكين العقائد المحدثة الّتي أنتجها الفعلُ التّأويليُّ، ينتصر لرأي قائم زكّته الجماعةُ، وشرعنه النّفوذ، يُرسل بين النّاس: حقائقَ مطلقةً، وجواهرَ نقيّةً لا يدركها الشّكُ، ولا يطولها الانتقادُ، فترسخ وتستمرّ.
- إنّ أنماط الحِجاج في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة، أنماطٌ متصارعةٌ: إيديولوجيّا، وعقائديّا؛ لذلك كثر في لغة أصحابها الواصفة، المعجم الحربيُّ: (الدّفع)، (الدّحض)، (الإبطالُ)، (الوسم)، (الردّ)، (التّبكيت)، (الإفحامُ)، (المناكفة)، (المنازعة)، (المقارعة)، (حمي الوطيس)...، ممّا يدلّ على ارتباط الحِجاج بالقوّة الإقناعيّة والفاعليّة البرهانيّة الّتي يمتتحها المحاجّ/ المؤوِّل، من النّسق العقديّ الّذي يساند، مزاعمه، ويعاضد أفكاره، ويوجّه خياره، فيدوم الفعلُ، ويتواصل النّفوذُ.

إنّ ارتباط التّأويل من جهة كونه فعلا قائمًا على النَّخل والاختيار بالعنف، فعلا استعاريّا وحدثا رمزيّا، ينتج عنه إثبات نسق تأويليّ، وإبطال نسق آخرَ، لوجود تعارض ظاهر بين توافقات الجماعة وعقائد الأنصار، دليلٌ، على تعاضد البِنيتين وتكامل النّسقين، أعني: البنيةَ الحِجاجيّةَ والبنيةَ التّأويليّةَ.

واستنادا إلى هذا التّعامل الهيكليّ، بين الحِجاج والتّأويل، ينتج تركيبٌ جديدٌ،

وينجم كيانٌ وليدٌ، نحدث له، اسما، ونعلّق به وسما: (الحِجاج التّأويليّ) من جهة كونه نسقا نظريّا قائما على إدماج كفاية الإقناع مع كفاية التّأويل.

فالإقناع، باعتباره، مسارا ناميا، ونسقا متدرّجا، إنّما يبدأ، حملا على الإقناع، وينتهي اقتناعا، وهو مسارٌ، تتبعه الحُجّة، ويسير على هديه المحاجُّ، يستبطن في داخله المركّب، رؤى للعالم، وتصوّراتٍ عن الكون والأشياء، يرمي إلى بذرها على أرض الخصم/ الغريم بواسطتها، يحوّل، عقائده، ويبدّل أفكاره، ويغيّر مساره، فيكبر الولاءُ، ويتعاظم، عدد المريدين، يحملون العقائد نفسَها، وينتصرون للفكرة ذاتِها، تتحوّل بمفعول الشّرعنة والتّمكين (يوتوبيا اعتقاديّة)، لا تحتمل الدّحضَ، ولا تجوّز، الإبطالَ.

وبذلك، تنبني، المنظوماتُ الرّمزيّةُ على مبدأ (الوحدة الصمّاء)، فتنغلق دوائر التّقرير، وتتناهى مظاهر التّبصير، فلا يمكن للقول أن يتمادى في انفتاحه، ولا للأوْل أن يواصل تكاثره، لأنّ المؤسّسة الدّينيّة الرّسميّة فرضت بعنف السّطوة القاهرة، على الرّموز/ العلامات، أن تتوقّف حركتُها، وتتعطّل خصوبتُها، فيخلد العقلُ المجبول على المغامرة والاكتشاف إلى السّبات والهدأة، حتّى لا تنشأ أنساقٌ جديدةٌ، قد تقوّض ما رسّخه، الاعتقادُ، وما مكّنته إرادة التّوريث: عادةً، تتكرّر، أو إلفا يستعاد من (العقائد الكاملة)، و(البوارق الشّاملة)، و(العبر الخالدة)، لا يبليها، التّداولُ، ولا يبطلها، التّغافلُ، لأنّها قيمٌ عابرةٌ للزّمن المنساب، لبّسها الفاعلون بصفات المطلق الأزليّ حتّى لا ينتهي، نفوذُها، ولا يتعطّل فعلُها، فتخلد وتستمرّ.

لذلك كثيرا ما يُشار في هذه المقامات القائمة على الطّاعة، والمتاسّسة على الولاء إلى ما يؤول إليه اللَّجاجُ في السّؤال، والتّطويل في المقال من إمكانيّة وقوع المؤمن في حومة الإثم، وحلوله في دائرة الكِبر، فتضطرب النّفوسُ، وتنكفئ الإراداتُ، وتتعطّل الأقلامُ...

إنّ هذه الاستراتيجيا المعقلنة الّتي عاضد بها، (علماء الأمّة)، منظومتهم الاعتقاديّة، استراتيجيا، تحمل بين طيّاتها، (عقلا ماكرا)، و(إرادة جبّارة)، وعت حاجاتها، وقدّرت رغباتها؛ لذلك تسابق الأنصارُ في اختلاق (أساطير الخلود)، وجاهد المريدون في ابتداع (ميثولوجيّات التّرويع) الّتي ينتج عنها بعد إشاعتها بين النّاس ضربٌ من الذّعر الدّائم يقوّي جبلّة الخوف، ويضاعف غريزة الاختشاء، حتّى يضمن الفاعلون دوام الفعل وتواصل الأمر، فلا تغيير ولا تبديل.

ومن هذا المنطلق، كانت الخطاباتُ التّأويليّةُ الّتي أطلقها أصحابها، خطاباتٍ، تنضح نفيا، وترشح إبطالا، (راجع، تمثيلا، لا حصرا، مقدّمات كتب تفسير القرآن)؛ اذ يدّعي كلُّ صاحب مذهبٍ أنّ ما أتى به من المعاني، بَكارٌ نقيٌّ، كاملٌ جليٌّ، وما أتى به غيرُه ناقصٌ مثلومٌ، باهتٌ موصومٌ، وبهذا الوصف القائم على عنف تأويليّ معمّم، تنتج اللّغةُ الواصفةُ من خلال بوح علاماتها، ومكر سياقاتها، ما يدلّ على الحقّ المطمور، والخرق المقهور الّذي عطل، تدفّقَ المعاني المنسابة، وأعاق حركتها، فتعاظم التّبريرُ، وتواصل التّنفيرُ، فصار النصّ المؤَوَّلُ نصًّا منعزلا عن سياقات تأويله، لأنّ الأدلوجةَ لبّست، الأفكارَ، والعقيدةَ أبلت الأبكارَ، فتاهت الحقائقُ، وغابت الدّقائقُ، وساد التّضليلُ.

إنّ الحِجاجَ التّأويليَّ، إنّما هو نسقٌ نظريّ، ندّعي أنّنا مُحدِثوه، يتقوّم بجملة من المبادئ الفكريّة والفلسفيّة، والأنطولوجيّة الّتي تقود مساره، وتوجّه، مداره، أهمّها:

– دمج الفعل الحِجاجيّ داخل المدار التّأويليّ.

– توظيف الأبنية الحِجاجيّة داخل الأنساق التّأويليّة، لتغدو ذات فاعليّة مضاعفة، تقوّي البرهانَ، وتديم العنفوانَ.

– تطعيم الحجّة المجرّدة (العقل الخالص)، بالعاطفة والشّعور، فتلتئم، أجزاء الإنسان، ويعاد للبشر الكَيان: (الإشارة إلى مبادئ الفلسفة المركّبة).

– الحِجاج التّأويليّ وَفق هذا التصوّر، حِجاجٌ غير شكليّ: (Non formel)، وإنّما هو حركيّة مركّبةٌ، يتفاعل داخل محيطها، (العقل البتّار) مع (الوجد المدرار)، لتكون نتيجة العمل الحِجاجيّ، إقامةَ أنساق تاويليّة، تعضد إيديولوجيا المحاجّ، وتقوّي زعم المستدلّ.

وهذا التّلازم، بين الـ:(Logos)، والـ:(Pathos) داخل دائرة الفعل الحِجاجيّ، هو الّذي جعلنا، نرفع ألوية هذا الإحداث النّظريّ، أعني: (الحِجاج التّأويليّ)، مواصلةً، لحُلم: (بيرلمان) الكبير الدّائر على ضرورة تجميع ما شظّته، مطارق (الوضعانيّة المنطقيّة)، و(العقلانيّة الباردة)، اخترقت معادلاتُها، الذّاتَ البشريّةَ، فقتلت أوصابها، وأشاعت غيابها، ترى العالمَ، معادلة، والكونَ، خطوطا متوازية، لا تمايز فيها، ولا اختلاف، (الإشارة، ههنا، إلى الفكرة القائلة، بإمكانيّة بناء العالم منطقيّا، وتقدير العواطف، رياضيّا)، والحال أنّ النّفس البشريّة كما يقدّر ذلك، فيلسوف التّركيب: (إيدغار موران) أوصابٌ، وأحلامٌ، حقائقُ، وأوهامٌ، قد يحرّكها، الاستدراجُ، فتغدو،

أكثرَ قوّةً، ويدفعها الهيجانُ، فتصبح أعتى نفوذا من سلطة العقل، وأشدّ فعلا من صرامة المنطق، لذلك وجب انطلاقا من هذا التصوّر الفلسفيّ الّذي يراجع مواطن النّفوذ داخل دوائر الفعل البشريّ، أن نعيد تشكيل الفاعليّة البرهانيّة من جهة كونها، تمكينا تأويليّا، وتوجيها تفسيريّا، انطلاقا من مبدإ ضمّ الأشلاء، ورتق الفتوق الّتي أحدثتها فلسفات التشيّع لأسطورة العقل المحض، باعتبارها نزوعا إيديولوجيّا، أظهرت المراجعاتُ التّفكيكيّةُ الّتي قام بها جلّ فلاسفة ما بعد الحداثة: (فوكو)/ (ودولوز)/ (ودريدا...)، قصورها المطلق في معالجة تركّب الفعل الإنسانيّ، وتشعّب الأحداث البشريّة، فمرّة تتفوّق فيه العاطفةُ، ومرّةً ينتصر فيه العقلُ، فلا غرابة في ذلك ولا عُجب.

إنّ الحِجاج التّأويليّ إنّما هو نسقٌ نظريٌّ مفتوحٌ، يكون فيه الفعلُ الحجاجيّ عملا مركّبا، وسياقا معقّدا، يتصالح داخل محيطه الإنسانُ مع أجزائه، والكائنُ مع أشلائه، فلا تفاصل ولا انقطاع.

إنّه الإنسانُ الجديدُ الّذي تتكامل في داخله الأضدادُ، وتتعايش في دوائر وجوده، المختلِفاتُ، لا يوجّهه، العنفُ، ولا يسيّره الإبطالُ: حُلما أطلقه الفلاسفة، عساهم به يجابهون طرد المختلف من حومة الإجماع، فيبدِلون، هذا الإجماعَ المطمئنَّ باختلاف منتِج: أفضيةً مباينةً، وعقائدَ مغايرةً، فتستعيد النّفوسُ المروَّعةُ الهداةَ والرَّوْح، فلا إرغام، ولا تنميط.

المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- ارمسترونغ، ا. هـ.(2009). *مدخل إلى الفلسفة القديمة* (سعيد الغانمي، مترجم). المركز الثقافي العربي.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (د.ت). *المقدمة*. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- البدوي، عبد الرحمن. (1944). *أرسطو*.
- البدوي، عبد الرحمن. (1947). *أرسطو عند العرب*.
- البدوي، عبد الرحمن. (1953). *أرسطو طاليس: فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد*. القاهرة.

- البدوي، عبد الرحمن.(1959). *كتاب الخطابة لأرسطو*.
- الجغلول، عبد الرحمن.(1987). *الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي* (ط. 4). دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الحِجاج: مفهومه ومجالاته.(2010). دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي. عالم الكتب الجديدة.
- الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم.(1999) مؤلف جماعي باشراف حمّادي صمّود. كلية الاداب منوبة.
- الدريسي، فرحات.(1993). *مراجعات مفهومية في الثقافة العربية الاسلامية*. اديكوب للنشر.
- الزيدي، توفيق. (1998). *جدلية المصطلح والنظرية النقدية* (ط. 1). قرطاج للنشر، تونس.
- الشعبان، عليّ. (2008). *الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في ادب الجاحظ وتفسيرات الطبري*. مسكلياني للنشر.
- الشعبان، عليّ. (2010). *الحجاج والحقيقة وافاق التاويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة: بحث في الاشكال والاستراتيجيات*. دار الكتاب الجديدة.
- صولة، عبد الله. (2009). *الحجاج في القران* (ط. 2). منشورات كلية الاداب، منوبة.
- صمّود، حمّادي. (1994). *التفكير البلاغي عند العرب: اسسه وتطوره الى القرن السادس للهجرة* (ط. 2). منشورات كلية الاداب، منوبة.
- صمّود، حمّادي. (2000). *من تجليات الخطاب البلاغي*. دار قرطاج للنشر والتوزيع.
- عبد الرحمن، طه. (1998). *اللسان والميزان او التكاثر العقلي*. المركز الثقافي العربي.
- عليّ، محمد لطفي اليوسفي. (1992). *الشعر والشعرية: الفلاسفة والمفكرون العرب ما انجزوه، وما هفوا اليه*. الدار العربية للكتاب.
- النويري، محمد. (2005). *علم الكلام والنظرية البلاغية العربية*. دار محمد علي الحامي.
- ندوة المصطلحية. (2010، ديسمبر). مطابع جامعة سوسة للنشر، تونس.

- يفوت، سالم. (1995). *نحن والعلم*. دار الطليعة، بيروت، لبنان.
- يوسف، الفة. (2008). حيرة مسلمة. دار سحر للنشر، تونس (ط. 1).
- هابرماس، يورغن. (2010). *اتيقا المناقشة* (عمر مهيبل، مترجم). الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- حمّو، الهادي. (د.ت). *مواقف الحجاج والجدل في القران الكريم*. مطابع النهضة.

باللغة الأجنبية:

- Amossy, R., & Herschberg Pierrot, A. (1997). Stéréotype et clichés, langue, discours, société. Paris: Nathan.
- Amossy, R. (1991). Les idées reçues. Sémiologie du stéréotype. Paris: Nathan.
- Angenot, M. (1980). La parole pamphlétaire. Typologie des discours modernes. Paris: Payot.
- Anscombre, J.-C. (Éd.). (1995). Théorie des topoï. Paris: Kimé.
- Aristote. (1989). Rhétorique des passions (Postface de M. Meyer). Paris: Rivages Poche.
- Benveniste, É. (1966). Problèmes de linguistique générale 1. Paris: Gallimard.
- Bourdieu, P. (1991). Le champ littéraire. Actes de la recherche en sciences sociales, 89, septembre.
- Copi, I. M., & Burgess-Jackson, K. (1992). Informal logic. NJ: Prentice Hall.
- Declerq, G. (1992). L'Art d'argumenter. Structures rhétoriques.
- Ducrot, O. (1980). Les Mots du discours. Paris: Minuit.
- Ducrot, O. (1984). Le Dire et le dit. Paris: Minuit.
- Fontanier, P. (1977). Les Figures du discours (Introduction de G. Genette). Paris: Flammarion.
- Genette, G. (1972). Figures III. Paris: Le Seuil.

- Grice, H. P. (1979). Logique et conversation. Communication, 30, 31-56.
- Grize, J.-B. (1990). Logique et langage. Paris: Ophrys.
- Herschberg Pierrot, A. (1979). Clichés, stéréotypes, dans le discours de Lieuvain. Littérature, 36.
- Kerbrat-Orecchioni, C. (1990). L'implicite. Paris: Colin.
- Lamy, B. (1998). La Rhétorique ou L'art de parler (Éd. Critique B. Timmermans, Préface M. Meyer). Paris: PUF.
- Maingueneau, D. (1990). Pragmatique pour le discours littéraire. Paris: Bordas.
- Maingueneau, D. (1993). Le contexte de l'œuvre littéraire: Énonciation, écrivain, société. Paris: Dunod.
- Mathieu-Castellani, G. (2000). La Rhétorique des passions. Paris: PUF.
- Molinié, G. (1992). Lieux. Dictionnaire de rhétorique. Paris: Le Livre de Poche.
- Perelman, C., & Olbrechts-Tyteca, O. (1970). (1re éd. 1958). Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique. Édition de l'Université de Bruxelles.
- Perelman, C. (1977). L'Empire rhétorique: Rhétorique et argumentation. Paris: Vrin.
- Plantin, C. (1993). Lieux communs, topoï, stéréotype, clichés. Paris: Kimé.
- Plantin, C. (1995). L'argument du paralogisme. Hermes, 15, Argumentation et Rhétorique, 1.
- Plantin, C. (1998b). Les raisons des émotions. In M. Bondid (Ed.), Forms of Argumentative Discourse / Per un'analisi linguistica de l'argomentare (pp. xx-xx). Bologne: CLUEB.

- Plantin, C., Doury, M., & Traverso, V. (2000). Les Emotions dans les interactions. Presses universitaires de Lyon.
- Sarfati, G.-É. (1997). Éléments d'analyse du discours. Paris: Nathan.
- Walton, D. (1992). The place of Emotion in Argument. The Pennsylvania.